

بيت المقدس في العهد الإسلامي

أ. أميمة الخرشا

المقدمة:

أشتق لفظ المدينة (قُدُس) وتعني البركة والطهارة¹ وإذا تتبعنا مجموعة الأسماء التي أطلقت على المدينة نجد أنها تعني مدينة الطهر والطهارة ولأنها مكان مقدس يطهر فيه الذنوب. وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون عدة أسماء على المدينة المقدسة فمنهم من ذكر في كتاباته اسم (بيت المقدس) ويعني المكان الذي يطهر فيه الذنوب ومنهم من ذكرها باسم (البيت المقدس) ويعني التطهر والتطهير. وفي هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »² ويكون البيت المقدس هو البيت المطهر من الذنوب.³

وقيل أن المدينة سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك « وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين ».⁴

وظلت المدينة المقدسة تسمى بهذا الاسم ردحا من الزمن حتى أصبح اسم القدس اسماً شائعاً ومعروفاً لدى الجميع، وهو الاسم المتداول في وقتنا الحاضر. والقدس في معناها لا تختلف عن معاني الأسماء الأخرى التي سميت بها المدينة المقدسة.

والقدس تعني المكان المبارك الذي بارك الله حوله سبحانه وتعالى.

إن لبيت المقدس مكانة مرموقة في الإسلام، ويفضل هذا احتلت المدينة مكانة مرموقة في نفوس المسلمين، ومنبع ذلك قدسية المدينة التي باركها الله لوجود المسجد الأقصى فيها (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لثريه من آياتنا وهو السميع البصير). والإسراء هو إسرائ الرسول الكريم ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس حيث ربط الرسول صلى الله عليه وسلم ربطاً بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء منه قبل، ثم صلى ركعتين في المسجد الأقصى المبارك ومنه كان المعراج وهو صعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى ليلة السابع والعشرين من رجب قبل الهجرة النبوية بعام وبضعة أشهر (621م) فالمسجد الأقصى كما تثبت في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية هو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كذلك منطلق عروجه من الأرض إلى السماء، وهو منزل مطهر ومبارك وتغفر فيه الذنوب ولهذا كله نظر المسلمون إليه نظرة إكبار وإجلال، وعلى أنه مزار شريف ومكان مبارك تشد إليه الرحال. وظل المسجد الأقصى والبيت المقدس يلقيان رعاية المسلمين وعطفهم وحبهم، وسيظل هذا التكريم وذاك العطف ما دام هناك أمة إسلامية على وجه الأرض، وتأتي فلسطين في طبيعة البلاد والتي جذبت اهتمام المسلمين نحوها منذ اشراق فجر الإسلام في موطنه الأول جزيرة العرب، ويرجع الاهتمام بها إلى أمور كثيرة أهمها: وجود المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فيها، كما يوجد بها حائط البراق وقبر إبراهيم عليه السلام، وفيها ولد إسماعيل عليه السلام، والسيد

1-الأنس الجليل لتاريخ القدس والخليل، محيي الدين العلمي الخنبلي، ج4.

2-سورة البقرة الآية 30

3-معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر 1955م - 1957م

4-نهاية الأدب في فنون الأدب للنوري، دار الكتب المصرية بالقاهرة.

المسيح، وهي أرض المحشر والمنشر والحساب يوم القيامة إلى بيت المقدس وينفخ إسرافيل في الصور من بيت المقدس، وأن الله رفع نبيه إلى السماء من بيت المقدس، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام من بيت المقدس، بيت المقدس بنته الأنبياء عليهم السلام وعمرته وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي، وهي الأرض المباركة التي شهد فيها الصحابة فتوحات الإسلام فكان منهم الخليفة العادل عمر بن الخطاب الذي فتح بيت المقدس، وكان نموذج من النماذج التطبيقية على التسامح أن عمر رضي الله عنه لما حضرته الصلاة وهو يقوم بزيارة كنيسة القيامة يرافقه البطريك صفرونيوس سأل عمر رضي الله عنه البطريك عن المكان يقيم فيه الصلاة، فقال البطريك مكانك فصلي فأبى عمر رضي الله عنه وصلى خارج الكنيسة وقال: (إنني لو أقمت الصلاة في كنيسة القيامة لوضع المسلمون عليها أيديهم في حجة إقامة الصلاة فيها وإنني لأبى أن أمهد السبيل لحرمانكم منها وأنتم بها أحق وأولى)⁵ أي أخلاق هذه؟ لقد عامل المسلمون أبناء الأديان الأخرى في بيت المقدس وغيرها أفضل معاملة عرفها التاريخ حتى اعتبر المؤرخ الإنجليزي (ارنولد كويني) ظاهرة التسامح الديني الإسلامي ظاهرة فريدة في تاريخ الديانات، وكان المسلمون يعاملون أهل الذمة معاملة أهل البلاد الأصليين ففي هذا البحث نلتقي بمدينة القدس عاصمة فلسطين الأبدية واطلعنا على فضائلها وعلى مكانتها الفريدة لدى الإسلام والمسلمين، وعلى المكانة الخاصة للمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

5- دليل القدس وتاريخها طبعة القدس سنة 1940 خليل طوصح وبولص

الواقع الديني:

إن مدينة القدس الشريف تتبوأ المقام الرفيع من اهتمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لارتباط هذه المدينة بعقيدتهم الدينية ولما لها من مكانة مرموقة في تاريخها السياسي والحضاري، وهذه المدينة التي هي مهبط الرسالات السماوية وملتقى الأديان، قد جعل الله للمسلمين مسجدها الأقصى قبلتهم الأولى وحرمتهم الثالث، فلما سقطت في أيدي الصهاينة فريسة للاحتلال وحل بها مكروه الاستيلاء والاغتصاب، استشعر المسلمون الحزن والألم وأحسوا بفراحة المصاب وتبينوا مدى ما نزل بساحتهم من خطب وما حاق بهم من خسران.

ومدينة القدس التي كانت رحابها على عهد الحكم الإسلامي قبل استيلاء الصهاينة عليها، مراداً يتساكن ويتعايش فيه الناس على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم ويمارس فيها الناس شؤونهم الدينية في ظل التسامح والحرية والأمن والاطمئنان، قد أصبحت بعد الاغتصاب والاحتلال عرضة للتصرف الغاشم، وغرضاً للتحكم الجائر، يعيث فيها الغاصب الصهيوني تهويداً وتبيديلاً وتنكيراً للمعالم الدينية والتاريخية والحضارية.

إن تاريخ القدس موغل في القدم، فهو لا يقف في مداه عند بدء عصر الكتابة في فلسطين أوائل الألف الثالث قبل الميلاد بل يتجاوزه.

الحقائق الخاصة بالقدس وتاريخها عبر العصور:

ارتبطت القدس بشعب فلسطين العربي منذ أقدم العصور فقد سكن الإنسان في منطقتها منذ عصر ما قبل التاريخ وهناك آثار له اكتشفت فيها تعود إلى عصر البلستيوسيني، وأثار من العهد البابليوني. وهناك موقعان في المدينة يرتبط وجودها وتلك الفترة، ويشار إلى ستة عشر موقعاً تعود إلى العهد النيوثي الذي شهد الثورة الزراعية.

ظهرت القدس كمدينة في بدايات العصر البرونزي حين بناها الكنعانيون مع مجموعة مدن أقاموها على طريق المياه بين الشمال والجنوب، واختاروا لها موقعاً متميزاً على مرتفع الصنهور الذي توجد على مقربة منه عين الماء جيھوت. وكان بناؤها حوالي الألف الرابعة ق.م. وخدم غرضاً دفاعياً وآخر دينياً وقد بنوا فيها هيكلًا لمعبودهم الأعلى «سالم». وكان ملك القدس هو كاهن الإله الأعلى. ومن هنا اكتسبت المدينة قدسيتها التي استمرت بعد ذلك لأسباب أخرى.

عرفت القدس أول ما عرفت باسم «سالم» الجد المؤسس أو الإله الأعلى. وقد كونت «مملكة مدينة» كغيرها من المدن الكنعانية وعرف من أسماء ملوكها «قدوم سالم» و«ملكي صادق» و «أدوني صادق» و «أدون بازق». وأول ذكر لها ورد في نصوص الطهارة المصرية في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، بصورة «بورشاليم» ومعناه إلى الأرجح «مدينة سالم».

وورد ذكر القدس في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م باسم «يورو سالم» وفي النقوش الآشورية باسم «أوروسليمو». وأقدم اسم لها في العهد القديم هو «شاليم» وقد ورد في سفر التكوين بمناسبة قدوم أبرام إلى أرض الكنعانيين إذ خرج الملوك لاستقباله ومنهم ملكي صادق وملك شاليم، كما ورد ذكرها في سفر يسوع باسم «اورشاليم» وكان ملكها آنذاك هو أدوني صادق، وفي سفر القضاة حين حارب بنو إسرائيل الكنعانيين وجاء ذكرها في سفر القضاة مرة أخرى باسم «يبوس»

نسبة إلى اليبوسيين العرب الذين كانوا يعيشون فيها. وورد في العهد القديم أيضاً اسم صهيون الذي دل بداية على جزء من المدينة اليبوسية كان يقوم فيه الحصن الذي استولى عليه داود حين انتزع المدينة من اليبوسيين. ولم يلبث أن سمي ذلك الجزء باسم «مدينة داود» وأصبح يطلق عليها المدينة لكل مع مضي الزمن. وسميت المدينة أيضاً «أريئيل» في سفر أشعيا. وعرف التل الصخري الذي بنى عليه سليمان الهيكل باسم «موريا» وجاء ذكره في أخبار الأيام الثاني. ومع تعدد الأسماء فإن اسم أورشاليم هو الذي كان شائعاً منذ فتح داود المدينة إلى منتصف القرن الثاني للميلاد، حيث أطلق عليها الإمبراطور الروماني إيلياؤس هادريانوس اسمه الأول بعد أن أعاد بناءها فعرفت بإيليا. وهو الذي هدم مدينة أورشاليم عام 135م، بعد أن هدمها تيتوس قبل ذلك عام 70ق.م. وقد ظل اسم إيلياء سائداً نحو قرنين إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين فأعاد إليها اسم اورشاليم، وبقي اسم إيليا مستعملاً حتى كان الفتح العربي الإسلامي.

اشتهرت المدينة بعد الفتح باسم «بيت المقدس» ووردت لهذا الاسم صور مختلفة منها البيت المقدس، وبيت المقدس والقدس الشريف والمدينة المقدسة. ولقبت المدينة بألقاب منها دار السلام ومدينة السلام وقرية السلام.

وواضح أن تعدد أسماء القدس مرتبط بتاريخها الطويل الحافل، وبأهميتها المتميزة. وتوضح بداية أن شعب فلسطين الكنعاني العربي هو الذي أسس المدينة في زمان بعيد في الماضي وهو الذي أطلق عليها اسمها. وقد أقام فيها بيتاً للعبادة يذكر فيه اسم الله فأصبحت قبلة ومحجاً واستمرت هذه صفة المدينة مع تتالي الرسائل السماوية وانتقال شعب فلسطين والمنطقة من الديانة الكنعانية إلى اعتناق اليهودية فالنصرانية فالإسلام.

نزل إبراهيم عليه السلام في منطقة القدس فرحب به، بنوحث، أصحاب الأرض، واختار أبو الأنبياء فلسطين وطناً له، فأصبح هو اله جزءاً من شعب فلسطين، وبهنا هنا أن نلاحظ نظرة الفلسطينيين عبر العصور وخصوصاً في العصر الإسلامي إلى هذه الحقيقة فقد أبرزوها. نضرب مثلاً على ذلك ما أورده «الخبيلي» في «الأنس والجليل» فبعد أن يقص هجرة إبراهيم «من وطنه في ذات الله حفاظاً بإيمانه» «أوحى الله إليه أن أنزل خبري، فنزل بها. ولم ينزل حتي دخل مغارة حبرون فنديه يا إبراهيم سلم عظام أبيك (آدم).

وحين ولدت هاجر ابنا أسماء إسماعيل أي (مطيع الله). وأقام إبراهيم صلة وثيقة بين فلسطين والحجاز والقدس ومكة. (وأرسل الله إسماعيل إلى قبائل اليمن وإلى العماليق، وزوج إسماعيل ابنته من ابن أخيه العيص بن إسحاق (عيسو بلغت ترجمة التوراة) ولما ماتت سارة بعد وفاة هاجر تزوج إبراهيم الخليل عليه السلام امرأة من الكنعانيين وولدت منه سته وهم نقشان وزمران ومدان ومديان ويشق وشرخ. ثم تزوج امرأة فولدت له خمسة بنين، فكان جميع أولاد إبراهيم ثلاثة عشر ولداً مع إسماعيل وإسحاق فكان إسماعيل أكبر أولاده في فأثر إسماعيل أرض الحجاز وإسحاق أرض الشام وفرق سائر ولده في البلاد والله أعلم.

ونجد هذه النظرة عند المسعودي وغيره، وعند أبناء شعب فلسطين الذين نظروا إلى إبراهيم عليه السلام كواحد من أجدادهم.

ازدهرت الحضارة الكنعانية في فلسطين، وكانت القدس أهم مراكزها، وقد بلغت المساحة التي

تشغلها المدينة خلال الألف الثاني قبل الميلاد حوالي أربعين دوقاً وأحاط البيوسيون مدينتهم بسور وحين مر إبراهيم بها حوالي سنة 1900 ق. م كانت مدينة متكاملة ذات قاعدة ملكية وهياكل دينية ومركز مقدس. وقد تأثر العبرانيون بحضارة الكنعانيين وتمثلوها.

كانت ييوس مدينة مزدهرة حين دخل بنو إسرائيل فلسطين بقيادة يشوع حوالي 1500 ق. م وتشير التوراة إلى مدينة حين تتحدث عن رجل إسرائيل وامرأته وعلامة كانوا في سفر فأدركهم الليل «وفيما هم ييوس قال الغلام لسيدته تعال قميل إلى مدينة البيوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده، لا قميل إلى مدينة غربية لا أحد فيها من بني إسرائيل».

احتل داود المدينة التي كانت آنذاك باسم ييوس في القرن الحادي عشر ق. م وقد وقف في اختياره لها عاصمة للملكة لأنها حصينة ويسهل الدفاع عنها. كما أنها تقع خارج المراكز القبلية الأصلية وتتحكم في طريق رئيسي. واشتهر داود المحارب بإنجازاته أخرى منها القصر الذي شيده في القدس وبناء معماريون من صور أرسلهم صديقه الملك الفينيقي «حرام» وورث ابنه سليمان الملك من بعده وحكم ثلاثين سنة وبنى هيكلًا وتحصينات وثكنات، وانقسمت في عهد خلفه إلى مملكتين إسرائيل ويهوذا. وبقيت المدينة وأصبحت تعرف بأورشليم عاصمة يهوذا. ولم تعمر الممتلكات طويلاً فانتهدت مملكة إسرائيل على يد سيرجون الثاني ملك آشور عام 722 ق. م. وانتهت مملكة يهوذا على يد بنو خز نصر ملك بابل الكلداني عام 586 ق. م وخرجت القدس وسبي عظماء البلاد نقلوا إلى بابل.

شهدت القدس وفلسطين منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد حتى الفتح الإسلامي تتابع حكم دول وإمبراطوريات تداولت الأيام بينها فيها.

ازدهرت القدس في العهد البيزنطي الذي بدأ باعتناق الامبرطور قسطنطين المسيحية عام 312م وبنائه عاصمة للملكة في موقع بيزنطة القديم عام 330 م. وقد قامت أمة هيلانة بزيارة القدس وتلا ذلك بناء كنيسة القيامة فيها وكنيسة المهد في بيت لحم. وما أسرع ما انتشر بناء الكنائس والأديرة في فلسطين وتحدثت المصادر اليهودية عن مساعدة اليهود للفرس عند قدومهم، وعما تسميه خيانة الفرس لليهود، كما تتحدث عن انتقام هرقل من اليهود والعقاب الذي أنزله بهم، ودخل عدد منهم في الدين المسيحي. وهذا يفسر لنا ما جاء في العهدة العمرية بشأن طلب الكنيسة إلا يسكن أحد من اليهود القدس.

فتح العرب المسلمون القدس سنة 638م. واشترط سكانها أن يكون تسليم المدينة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاءها عمر وتسلم مفاتيحها من صفرونيوس بطريرك القدس. وأعلى عهدة المشورة لأهل «إيلياء» القدس سنة 15 هـ «من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمتها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود...».

وقد شهد على هذا العصر كبار الصحابة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان.

بدأت القدس بالفتح العربي الإسلامي لها مرحلة جديدة من تاريخها، بقيت خلالها فلسطينية عربية كما كانت واستمرت مركزاً روحياً في ظل الحكم الإسلامي لها. وتصل تاريخها على مدى القرون الثلاثة عشر التالية، وأن تعرضت خلالها قرن واحد منها لحكم الفرنجة.

أصبحت القدس مركز الحضارة العربية الإسلامية وقد أقام بها عمر بن الخطاب مسجداً فيها، وبلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى. وسكن القدس بعد الفتح العمري جماعة من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ونزلها آخرون للعبادة والتبرك وزيارة مقدساتها، وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة، ورصد لبنائه خراج مصر سبع سنين ثم توالى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحت المسجد من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة، برز في القدس علماء أجلاء نسب بعضهم إليها من أمثال المقدسي صاحب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. وأصبح المسجد الأقصى جامعة يؤمها طلاب العلم ويعلم فيها علماء أجلاء.

عانت القدس معاناة شديدة أبان الغزو الفرنجي لها عام 1099م، وسالت دماء عشرات الألوف من أبنائها وحين حررها صلاح الدين الأيوبي أعطى الفرنجة نموذجاً رائعاً في الرحمة والتسامح. وقد سجل ستانلي لين بول في تاريخه لصلاح الدين «إذا كان أخذ القدس هو الحقيقة الوحيدة التي نعرفها عن صلاح الدين فإن ذلك كاف لإثبات أن صلاح الدين هو أكثر المنتصرين فروسية، وأعظم قلباً في زمانه، ولعله في كل زمان.

أمر صلاح الدين بإعادة أبنية القدس إلى حالها القديم، وظهر المسجد والصخرة من الأقدار. وصلى فيها، ونصب منبراً في المسجد كان قد أمر بصنعه نور الدين محمود وعمل صلاح الدين على توسيع المسجد الأقصى، وتدقيق نقوشه، وزوده بالمصاحف والكتب، فعاد المسجد رونقه وبهاؤه وجلاله.

ازدهرت القدس من جديد في ظل الحكم الإسلامي، وبرز فيها عدد من العلماء الأجلاء، واستطاع المماليك أن يحموها من غارات المغول الذين اجتاحتهم العراق وسوريا، وقد كان الانتصار الظاهر بيبرس على المغول في معركة عين جالوت الفضل في حماية القدس وباقي فلسطين من الدمار.

اهتم الظاهر بيبرس ومن تلاه من حكام المماليك بعمارة القدس فجدد بيبرس ما تداعى من قبة الصخرة وقبة السلسلة وزخرفها وبنى خلفائه عدداً من الآثار البديعة في المدينة. وازدهر التصوف فيها خلال ذلك العهد، وقد زارها عدد من الرحالة المسلمين ووصفوا حياة سكانها من ابن بطوطة إلى ناصر خسرو وعبد الغني النابلسي، وكتب محير الدين الحنبلي كتابه الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل».

أصبحت القدس في القرن الماضي مركزاً من مراكز البقعة العربية الحديثة. وظهر فيها عدد من الرجال الذين ساهموا إلى النهضة العربية الفكرية والسياسية، واشتدت عليها الأطماع الاستعمارية منذ الحملة الفرنسية أواخر القرن الثاني عشر. وابتليت باستهداف الفرق الصهيونية والاستعمارية لها. ولم تلبث أن احتلها اللبني أواخر عام 1917م وأصبحت تحت الانتداب البريطاني الذي مكن للغزوة الصهيونية أن تقيم «إسرائيل» تغتصب جزءاً كبيراً من المدينة عام 1948م وفي عام 1967م احتلت إسرائيل القدس الشرقية وبدأت المدينة عهداً من المعاناة وعهداً من المقاومة للاحتلال.

إن هذه اللوحة التاريخية للقدس عبر العصور تؤكد حقيقة ارتباط شعب فلسطين بالقدس وفلسطين. وتبرز بوضوح أن القدس هي قلب فلسطين وهي وطن شعبها الذي تواصل تاريخها فيها منذ أقدم الأزمان، وأن القدس كانت قبلة المسلمين ومحجاً لهم. تماماً كما كانت مطعماً للغزاة.

مكانة القدس عند المسلمين:

ارتبطت القدس بالأديان السماوية، وأصبحت مهوى أفئدة المؤمنين كافة. ولكنها ارتبطت بصورة خاصة بالإسلام والمسلمين من خلال المكانة التي احتلتها في العقيدة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي وفي تراث المسلمين، منذ أن حَفَّ إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليتسلمها من أهلها قاطعاً على نفسه عهداً لله أن يصون أموالهم وكنائسهم ويرعى حقوقهم، ويحقق لهم الأمن والسلامة، فمنذ ذلك اليوم إلى الغزو الصهيوني للقدس، والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الأم لولدها، ويحنون عليها حنو المرضة على فطيمها.

لا نعرف في تاريخ الإسلام بل في تاريخ الأديان السماوية جميعاً، مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة، فقد أولاها الخلفاء والأمراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم. أنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر، وأوقفوا عليها معظم الأراضي المجاورة وأنشأوا وزخرفوا وجددوا قديماً وأسسوا جديداً حتى أضحت تحفة منقطة النظير. أطلقوا حرية العبادة جميع الطوائف دون استثناء ووفروا للمدينة وللحجيج الأمن والاستقرار.

احتلت القدس هذه المكانة المرموقة لعدة أسباب منها:

أولاً: أنها موطن إبراهيم خليل الرحمن، ومقر الأنبياء ومهبط الوحي، ومبعث عيسى كلمة الله التي ألقاها إلى مريم وقد قال ابن عباس «البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك».

الثاني: إنها أولى القبلتين وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف بعد هجرة الرسول إلى المدينة وخصها الله بإسراء رسوله وحببيه المصطفى، فقال في كتابه العزيز «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».

الثالث: لأنها مفتاح الكعبة وقبر الرسول من حازه تمكن من الأردن وما وراءه من بلاد، لارتفاعها ومناعتها. ولذا بادروا سد هذا الثغر وحمايته حتى يدرأوا عنهم خطراً مروعاً.

الرابع: لأن عاصمة فلسطين، متحف آثارها الدينية التي تجمعت مدة ثلاثة عشر قرناً، وصلة الوصل بين الأقطار العربية والمنار التي يشع منها نور الهداية والخير.

رعى المسلمون القدس ولم يفرقوا زمن حكامهم الورعين بين أصحاب الديانات السماوية، كما لم يفرقوا بين أنبياء الله. وصارت لهم ذمة ترعى وعهد يحفظ وقامت في بيت المقدس حضارة روحية فذة تلاهقت المساجد والكنائس والمعابد، وارتفع اسم الله عالياً، واطمأنت القلوب وانشرت الصدور ولم يحل الحال من أوقات ضيق عانى منها جميع السكان، ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش أو حرق المعابد ومحو آثار الأنبياء.

ومن أقدم الآثار التي رعاها المسلمون وعدوها جزءاً من تراثهم الديني مسجد سليمان وما يستدعي النظر في صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان بن داوود وقد كتبت فوق محرابها «يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق».

أبلغ من ذلك دلالة أن المسلمين أنشأوا في مكان يسمى «مقام النبي داود» على ربوة جبل صهيون سدننته أسرة مسلمة، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن في هذا المقام قبر النبي داود، وهناك في داخل الحرم الذي يضم المسجدين العظيمين الأقصى والصخرة جامع يسمى قبة موسى، وجامع كرسي سليمان وكلاهما تؤدي فيه الصلاة، هذا عدا الآثار التي تقع خارج بيت المقدس، ومن أشهرها مقام نبي الله إبراهيم في المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير.

ومما يلفت النظر في هذا المقام أن المسلمين لم يتبنوا أثراً من آثار السيد المسيح مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم.

ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الإسلامي في حوزة المسيحيين أنفسهم، ونصت العهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب لبطريق القدس «أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم».

وقد جاءت المسيحية لتبطل النسبة إلى جند معين التي كان تؤكدها بنو إسرائيل ويتفاخرون بها، فمن أقوال المسيح «ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسهم لنا إبراهيم أباً، لأنني أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم».

إن الذين يؤمنون بالله هم أبناء إبراهيم، فالذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن» وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله «أن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ومن هنا كان طلب البطريك صفرونيوس أن تضمن العهدة العمرية نصاً «ألا يسكن بالياء - بيت المقدس - معهم أحد من اليهود».

وحين تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة 40 للهجرة زار بيت المقدس وصلى عند جبل الجبلجلة ثم ذهب إلى الجسمانية وصلى عند قبر السيدة مريم. وهما من أقدس الآثار المسيحية في المدينة.

اهتم المسلمون بالمدينة المقدسة اهتماماً كبيراً، فلم تمر مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي على اختلاف دولة، إلا أقام المسلمون في القدس بنائاً جديداً أو أصلحوا بنائاً قديماً.

ففي عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر بن الخطاب مسجداً، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال بيده ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلًى. وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان الصخرة المشرفة ورصد لبنائه خراج مصر سبع سنين، ونقش اسمه على القبة من تاريخ البناء سنة 72هـ، ثم تولى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحت المسجد بشهادة أحد المؤرخين الغربيين (من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة، لا بل من أجمل الآثار التي خلدها التاريخ)

وبنى عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى وأتمه أبنه الوليد، وتولى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والأمراء وأخبرهم الملك المغربي المجاهد محمد الخامس الذي فرش المسجد الصخرة بالسجاد الفاخر وفيه تلقى خطبة الجمعة لتجيش القلوب.

وتفويض العيون بالدموع، وقد شرع ملوك بني أيوب في الآثار الجميلة بالمسجد الأقصى، منهم الملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين، وتولى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه كنس أراضي قبة الصخرة بيديه ثم غسلها بالماء مراراً، ثم أتبع الماء بماء الورد طهر حيطانها وغسل

جدرانها وطهرها. وكذلك الملك الأفضل نور الدين والملك العزيز عثمان فعلى فيه أنواعا من البر والخير وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي يحمل الحجارة على سرج فرسه فينقله من موضع بناء سور المدينة يتولى ذلك بنفسه والجماعة بخواصه والأمراء، ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والأولياء وحواشي العساكر والأتباع، متبني في أقرب مدة ما يتعذر بناؤه في سنين، ويوجد إلى اليوم في الطرف الجنوبي من ساحة الصخرة شاهد يذكر فيه تعميم صلاح الدين الخندق وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل الخ...

وبنى عدد من المسلمين قببا في صحن الصخرة وجوارها فيه المعراج، وقبة المحراب النبي وقبة يوسف وقبة سليمان وقبة الخضر ومحراب داوود.

وينوا في الحرم وحوله مآذن وأروقة وأبوابا وسبلا وصهاريج للاستسقاء وكل واحد منها أثر تاريخي عليه نقش أو شاهد، له سمة عصره من زخرف وخط ودعاء.

واتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف والمسجدين الكبيرين والأروقة مدارس يدرسون بها علوم الدين، يقصد معظم الحجاج بيت المقدس وفي ذهابهم إلى البيت الحرام وفي عودتهم منه حتى أضحت المدينة المقدسة مزارا يتبرك منه المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة واستحيوا الإحرام بالحج والعمرة منه، ففي سنن أبي داود ومن حديث أم سلمة قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه، وأحرم منه جماعة من السلف كابن عمر ومعاذ بن كعب والأحبار وغيرهم.

مكانة القدس في الإسلام:

تعلقت قلوب المسلمين بالمدينة، وحنوا عليها وافتدوها بالمهج، وأحاطوها بالرعاية، وعبروا عن شعورهم هذا فيما كتبوا من رسائل وكتب في فضائل بيت المقدس.

روى ابن ماجة في سننه عن ميمونة مولاة رسول الله قالت: «قلت يا رسول الله أفئتنا في بيت المقدس قال: «أرض المحشر والمنشر، اتئوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كآلف صلاة في غيره» وروى عن رسول الله قوله: «من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء» وعن أبي عباس قال: «من حج وصلى في مسجد المدينة ومسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وعن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله (من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فينظر إلى بيت المقدس).

لقد كان لمدينة القدس منزلة مميزة في (القرآن) الكريم والسنة النبوية المطهرة «عباها المسلمون بالتقديس والتكريم خاصة مسجدها الأقصى تشد إليه الرحال.

مكانة فلسطين ومدينة القدس في الإسلام بقول الله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير»⁶

فالمسجد الأقصى مبارك في ذاته مباركة الأرض التي حوله وهي أرض فلسطين. «فلو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية وتجميع البركات وافية لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة ولأن الله تعالى لما أراد أن يعرج بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى سحاته جعل طريقه عليه تبينا لفضله وليجعل له فضل البيتين وشرفهما.

6-الإسراء، الآية 2.

كما قال الله تعالى أيضاً: « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين »⁷

قال ابن عباس « القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس ». ويقول تعالى في الآية الكريمة (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين).⁸ وورد في تفسير ابن كثير عن أبي بن كعب قال عن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين «

«هي بلاد الشام وما نقص من الأرض زيد في بلاد الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر، ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى أرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين»

والمقصود بالأرض التي باركنا فيها كما ورد في تفسير ابن كثير: (يعني بلاد الشام) وفلسطين قلبها حيث كانت مملكة سليمان.

يقول الله سبحانه:-

(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)⁹ والمراد بالأرض المقدسة بيت المقدس وما حوله.

وقال الله تعالى:

(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين)

قال أبو هريرة الزيتون طور زيتا

وقال قتادة: (والزيتون جبل عليه بيت المقدس)

وقال أبو زرعة السيباني: (ورفع عيسى من طور زيتا)

مكانة فلسطين في السنة:

لقد ورد الكثير من الأحاديث عن رسول الله (صلعم) تتحدث عن مكانة بيت المقدس وعن فضله. روى البخاري في صحيحه عن أبي ماجه إليها قال: قال رسول الله (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من جابههم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك) قالوا يا رسول الله وأين هم؟ قال:- (في بيت المقدس وكناف بيت المقدس) .

وروى الطبراني عن النبي (صلعم) أن أهل الشام وأزواجهم وذرائعهم وعبيدهم وإمائهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون فمن نزل مدينة أو قرية من المدائن فهو رباط أو ثغر من الثغور فهو في جهاد، وقدر أهل الشام لذلك أن ينتقم الله بهم من أعدائه، وعن خريم بن مالك:-

(أن أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم من يشاء من عباده وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنينهم ولا يؤتون إلاهما وغماً). رواه الطبراني مرفوعاً واحمد موقوفاً ورجاله ثقات.¹⁰ وعن عطاء قال:- (لا تقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس فيسلمهم إياها).

7- الإسراء، الآية (18)

8- الأنبياء، الآية 70

9- سورة المائدة، الآية 21

10- الشيخ أسعد بيوض التميمي خطيب ومدير المسجد الأقصى المبارك سابقاً القرآن والسنة وحتمية إزالة دولة اليهود- مطابع الكرمل بيروت 1982م.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله يقول: «سيد البقاع بيت المقدس وسيد الصخور صخرة بيت المقدس».

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «صخرة بيت المقدس صخرة من صخور الجنة».¹¹

وروى ابن مسننه عن أنس بن مالك قال: «إن الجنة لتحن شوقا إلى بيت المقدس جنة الفردوس وهو سر الأرض».

وقال: «إن خيار أمتي تهاجر هجرة بعد هجرة إلى بيت المقدس ومن صلى ببيت المقدس بعد أن يتوضأ ويسبغ الوضوء ركعتين أو أربعاً غفر له ما كان قبل ذلك».

وروى الحاكم بن المستدرك وأحمد في مسنده قوله عليه الصلاة والسلام: «طوبى للشام فإن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: «من زار عالمنا فكأنما زار بيت المقدس، ومن زار بيت المقدس محتسبا حرم الله لحمه وجسده على النار».

وعن أبي هريرة رضي الله قال رسول الله (صلعم) «من صلى في بيت المقدس غفرت له ذنوبه كلها».

وعن مكحول عن كعب (من أتى ببيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وعن شمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل أو كثر استجيب دعاؤه وكشف الله تعالى حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأن سأل الله الشهادة أعطاه الله إياها، وقال مكحول (من صلى في بيت المقدس ظهرا أو عصرا أو مغربا وعشاء ثم صلى الغداة وخرج، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وقال «من خرج إلى بيت المقدس بغير حاجة إلا الصلاة فصلى فيه خمس صلوات صباحا وظهرا وعصرا ومغربا وعشاء خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه».¹²

وروى عن رسول الله ما قاله لمعاذ رضي الله عنه: «أن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالهم ونسائهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة».

وعن أبي جريح عن عطاء أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يسوق خيار عباده إلى بيت المقدس فيسكنهم الله إياها».¹³ وأن الله تعالى تكفل لمن سكن بيت المقدس بالرزق وأن فاته المال ومن مات مقيما محتسبا في بيت المقدس فكأنما مات في السماء ومن مات حول بيت المقدس فكأنما مات في بيت المقدس وأول أرض بارك الله فيها بيت المقدس ويجعل الرب جل جلاله مقامة يوم القيامة في أرض بيت المقدس ويجعل الرب جل جلاله مقامة يوم القيامة في أرض بيت المقدس وجعل صفوته في الأرض كلها أرض بيت المقدس».¹⁴

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه النجا النجا إلى بيت المقدس إذا ظهرت الفتن قال يا رسول الله فإن لم أدرك بيت المقدس قال: فابذل وأحرز دينك وكذلك قال رضي الله عنه الصعصة نعم المسكن عند ظهور الفتن ببيت المقدس القائم فيها كالمجاهد في

11- اتحاف الأخض بفضل المسجد الأقصى، لأبي عبد الله بن شهاب الدين السيوطي تحقيق د. أحمد رمضان، ص 97\98.

12- السيوطي ص 138.

13- السيوطي، ص 102\103.

14- السيوطي، ص 105.

سبيل الله تعالى وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم لبنتي لبنة بيت المقدس وأحب الشام إلى الله تعالى بيت المقدس وأحب جبالها إليه الصخرة.¹⁵

وفي فلسطين المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فقد روى مسلم في صحيحه عن البراء قال: «صلىنا مع رسول الله نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة».

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى».

حدثنا الحريري عن عبد الله ابن شقيق العقيلي، عن كعب قال: لما ولي سليمان أوحى الله تعالى إليه أن ابن بيت المقدس، فبناه، فلما دخله خر ساجدا شكرا لله سبحانه وتعالى، فقال: يا رب من دخله من خائف فأمنه، أو من داع فاستجبت له «أو من مستغفر فاغفر له».¹⁶

وفي صحيح مسلم ورد:..

حدثني أبو كامل أجحدوى حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش وقال أبو بكر بن أبي بثرينة وأبو كريب قالا حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال المسجد الحرام قال ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة وأينما أدركت الصلاة فصل فهو مسجد. وفي حديث أبي كامل ثم حيثما أدركتك الصلاة فصلها فإنه مسجد.¹⁷

كما ورد في صحيح مسلم:..

حدثنا محمد بن المثنى وأبو بكر بن خالد جميعا عن يحيى قال ابن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثني أبو إسحاق قال: سمعت البراء يقول صلىنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة.¹⁸

آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس:

في كل ركن من بيت المقدس ترى أثرا من آثار الأنبياء عليهم السلام ومن آثارهم فيه.

مربط البراق، الذي ركبه النبي تحت ركن المسجد وفي المسجد باب داود عليه الصلاة والسلام، وباب سليمان عليه الصلاة والسلام، وباب حطة الذي ذكرها الله تعالى في قوله وقولوا حطة وهي قول لا إله إلا الله فقالوا: حنطة وهم يسخرون فلعنهم الله بكفرهم، وباب محمد وباب التوبة الذي تاب الله فيها على داود، وباب الرحمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يعني وادي جهنم الذي بشرقي بيت المقدس وأبواب الأسباط، أسباط بني إسرائيل وهي ستة أبواب، باب الوليد، وباب الهاشمي وباب الخضر، وباب لسكينة، وفيه محراب مريم ابنة عمران رضي الله عنها التي كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ومحراب زكريا الذي بشرته فيه الملائكة بيحيى وهو قائم يصلي في المحراب ومحراب يعقوب،

15- السيوطي، ص 110.

16- فضائل القدس للشيخ الإمام ابن الجوزي، ص 76 حققه وقدم له د. جبرائيل سليمان جبور.

17- صحيح مسلم - شرح النووي - المجلد رقم 2 حديث رقم 1 ص 153.

18- صحيح مسلم - شرح النووي - المجلد رقم 2 حديث رقم 2 ص 161

وكرسى سليمان صلوات الله عيه الذي كان يدعو الله عليه، ومغارة إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الذي كان يتخلى فيها للعبادة، والقبّة التي عرج النبي صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء والقبّة التي كانت السلسلة تهبط منها زمان بني إسرائيل للقضاء بينهم ومصلّى جبريل عليه السلام ومصلّى الخضر عليه السلام، فإذا دخلت الصخرة فصل في أركانها وصل على البلاطة التي تسامى الصخرة فإنها على باب من أبواب الجنة ومولد عيسى بن مريم على ثلاثة أميال من المسجد، ومسجد إبراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلاً من المدينة ومحراب المسجد بغريه.¹⁹

فضائل بيت المقدس:

إن بيت المقدس مدينة أنبياء الله ابتداءً من إبراهيم الخليل إلى عيسى عليهما السلام وقد أشار إلى ذلك بأسلوب عظيم وبلغ أول من خطب بالمسلمين في المسجد الأقصى أثر الفتح الصلاحي القاضي محيي الدين بن زكي الدين علي القرشي حيث قال: «هو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ومنزل ينزل فيه الأمر والنهي وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وروحه عيسى الذي كرمه برسالته وشرفه بنبوته.

والواقع أنه يمكن القول أن عرب الجاهلية أحاطوا المدينة برعاية تبلغ حد التقديس، فقد حدثنا سفر التكوين أن ملك صادق ملك شاليم - وهو اسم بيت المقدس - خرج لاستقبال إبرام - إبراهيم - وأخرج خبزا وكان كاهنا للعلي وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي ملك السموات والأرض. حدث ذلك قبل حوالي 37 قرناً من الفتح الإسلامي وظلت المدينة على مر العصور مدينة الله العلي وإذ ورث المسلمون تراث أجدادهم الأقدمين وتراث أنبياء الله جميعاً من عهد الإسرائيليين إلى آخر عهد النصراني فقد ظلت المدينة المقدسة في جاهليتهم وإسلامهم هذا سر قدوم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب إلى المدينة لأخذها سلماً وسر محافظة صلاح الدين على حرمتها وتطهيرها مما يدنسها أو يزرى بها سواء كانت المقدسات مسيحية أم يهودية وهذه أول مرة في تاريخ المدينة التي اعتادت المذابح والحرائق والهدم لا يراق فيها دم ولا يهدم بيت.

لهذه الأسباب أحاط الخلفاء والأمراء والصالحون في جميع العصور الإسلامية المدينة برعايتهم فأنشأوا المساجد والمدارس والزوايا والأرطة والبيمارتانات حتى أضحت (متحفاً) يضم من الآثار ما لم يجتمع في المدينة سواها وعلى رأسها جميعها درة الفن الإسلامي اليتيمية وآتية العظيمة قبة الصخرة المشرفة التي فتنت علماء الآثار حتى اجتمعوا على أنها من أعظم الآثار الإسلامية التي عرفها التاريخ على الإطلاق.

وهذا عارف العارف في كتابه سجل عبارة لأحد العلماء الغربيين (هي أن مسجد الصخرة بلا شك من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة، بل أجمل الآثار التي خلفها التاريخ والحرم القدسي 1947م).

ومن فضائل بيت المقدس:

تكون الهجرة في آخر الزمان إلى بيت المقدس، والمحشر والمنشر إلى بيت المقدس والحساب يوم القيامة إلى بيت المقدس، وينصب لصراط على جهنم إلى الجنة ببيت المقدس، وينفخ إسرافيل في الصور من بيت المقدس.

19- كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلس - المجلد السادس الناشر دار الكتاب العربي ص 264/265

«وأن الله رفع نبيه إلى السماء من بيت المقدس ورفع عيسى بن مريم عليه السلام من بيت المقدس وقال عنها النبي: « إن خيار أمتي من هاجر هجره بهد هجره إلى بيت المقدس ومن صلى ببيت المقدس بعد أن توضع وأسبغ الوضوء ركعتين أو أربعاً غفر الله له ما كان قبل ذلك ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله قال: فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي هذا بألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة» رواه الإمام أحمد رضي الله عنه.

وروي عن النبي أنه قال: أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو وتتمنى أن يكون أعطاه الثالثة، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أن يخرج من بيته يريد الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون أعطاه إياه.

وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال: أوددت أني ما جئت ببيت المقدس وأحرم منه إبنه عبد الله رضي الله عنه.

كما قال مقاتل بن سليمان عن بيت المقدس: ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب.

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله، من أراد أن ينظر إلى بقعه من بقع الجنة فليتنظر إلى بيت المقدس.²⁰

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول (سيد البقاع بيت المقدس وسيد الصخور صخرة بيت المقدس).

وعن مكحول قال: « من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة وزاره جميع الأنبياء وغبطوه بمنزلته من الله عز وجل ... »²¹

وروي أن ميمونة بنت سعد مولاة النبي محمد أنها قالت: يا نبي الله أفطنا في بيت المقدس. فقال أرض المحشر والمنشر أتوه فصلوا فيه كألف صلاة فيما سواه، قالت رأيت لمن لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه، قال: فليهد إليه زيتاً يسرح فيه، فإن من أهدى له كمن صلى فيه).²²

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: لما أسري بي إلى بيت المقدس، مر بي جبريل على قبر إبراهيم، فقال أنزل فصلي هنا ركعتين ها هنا قبر أبيك إبراهيم، ثم مر بي ببيت لحم، فقال: أنزل صلي ها هنا ركعتين (ها هنا) ولد أخوك عيسى. ثم أتى بي إلى الصخرة فقال ها هنا عرج ربك بي إلى السماء²³

وورد في الصحيح أنه لما احتضر موسى عليه السلام، قال: يا رب ادنني من الأرض المقدسة رمية حجرة وفي الأرض المقدسة رمية حجر، وفي الأرض المقدسة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام²⁴

20- رسالة المسجد، 37/37.

21- فضائل القدس - ابن جوزي، ص 85/86.

22- فضائل الدس، لابن جوزي، ص 90.

23- فضائل الدس، لابن جوزي، ص 120.

24- فضائل الدس، لابن جوزي، ص 97.

وقال الزهري: «لم يبعث الله عز وجل منذ خلق آدم إلى الدنيا نبياً إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس، وقد صلى إليها نبينا»²⁵

(وروى النحاس لما غلب قيصر مشي إلى بيت المقدس على قدميه شكراً لله عز وجل).²⁶

فلسطين أرض الأنبياء والصحابة والتابعين:

قال عبد الله بن عمر: بيت المقدس بنته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعمرته وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي فلعل جبهتك أن توافي جبهة ملك أو نبي).²⁷

ولقد سار على هذه الأرض المقدسة الأنبياء والرسل، إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، وكذلك موسى عليه السلام وفيها دفنوا، وعيسى عليه السلام حيث رفعه الله إليه، ومحمد حيث عرج إلى السماء.

في هذه الأرض الطاهرة المباركة شهد فيها الصحابة فتوحات الإسلام فكان منهم الخليفة عمر بن الخطاب الذي فتح بيت المقدس ورافقته من الصحابة أربعة الآلف صحابي. كان منهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول، ومعاذ بن جبل من قادة جيوش المسلمين. وكان منهم أبو عبيدة عامر بن الجراح القائد العام لجيوش المسلمين في بلاد الشام الذي أمر بحصار بيت المقدس، وزيد بن أبي سفيان. وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر. وبلال بن رباح الذي رفع الأذان بعد الفتح الإسلامي. وسلمان الفارسي. وأبو الدرداء عويمر. وأبو ذر الغفاري. وعبادة بن الصامت أول من ولي القضاء في فلسطين، سكن بيت المقدس ودفن فيها، وعمرو بن العاص السهمي. ومعاوية ابن أبي سفيان. وعوف بن مالك بن عوف. وعبد الله بن عمر بن الخطاب. وغيرهم الكثير رضوان الله عليهم جميعاً. ومن التابعين العلماء والفقهاء: الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو وفقهه الشام سفيان الثوري. والإمام الشافعي محمد بن إدريس إمام أهل السنة الذي ولد بغزة. والإمام الغزالي زين الدين حجة الإسلام الذي صنف (أحياء علوم الدين) في بيت المقدس.

وكذلك ابن قدامة المقدسي المولود في القدس. وابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري. ومالك بن دينار من الأئمة الأعلام.

وكانت فلسطين مهوى أفئدة كثير من أبطال العرب المسلمين والقواد، فقد ذكر أن آلفاً من صحابة الرسول وتابعيهم قد دفنوا فيها.

من أشهرهم أبو عبيدة عامر بن الجراح و معاذ بن جبل، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير، والحارث بن عتيك، ومسلمة بن هاشم المخزومي، وقيس بن الحارث، وقيم بن الحارث، وكليب بن عمر القرشي، ونعيم بن عبد الله بن النمام، وهرا ب بن أسود المخزومي، وهاشم بن العاصي بن وائل.

كما دفن في فلسطين أعداد كبيرة من شهداء المسلمين وارتهم الأرض المباركة في تراها الطاهر، من معارك اليرموك واجنادين وقد قدر عددهم بخمسة وعشرين ألف شهيد، بالإضافة إلى شهداء الحروب الصليبية، وحروب التتار، وشهداء حروب المسلمين في بلاد الشام.

25- فضائل الدس، لابن جوزي، ص114

26- فضائل الدس، لابن جوزي، ص87

27- الإسلام وفلسطين، رفيق النتشة، ص9-12.

أهم العلماء الذين أخرجتهم فلسطين:

في ظل الدولة الإسلامية أنتجت الحضارة في فلسطين ، فأنتجت الكثير من العلماء والمفكرين والقادة والشعراء ، لقد أنتجت أرض فلسطين الطاهرة القائد الإسلامي الكبير موسى بن النصر فاتح الأندلس وكان من أبناء مدينة الخليل.

وإلى فلسطين ينتسب القاضي الفاضل المولود بعسقلان، والعالم وزير الدولة البطل صلاح الدين، ومنهم خليل بن أبيك الصفدي الأديب والمؤرخ الإسلامي صاحب المؤلفات العديدة.

وإلى فلسطين ينتسب رئيس فن الكتابة وشيخ الدواوين وسير الإنشاء عبد الحميد الكاتب وهو من قيسارية، وكان وزير الخليفة الأموي مروان بن محمد، وإليها ينتسب العالم الكيميائي العربي خالد بن يزيد الأموي أول من نقل علوم الإفرنج إلى اللغة العربية في دول الإسلام. وإلى فلسطين ينتسب إليها القاضي عماد الدين أحمد الكركي الذي تولى منصب قاضي قضاة الديار المصرية والمملك شرف الدين الأيوبي المجاهد ضد جيوب الصليبيين والعالم الذي كانوا يطلقون عليه أسم المأمون الثاني. وينتسب إليها أيضاً الشيخ مرعي الكرمي الذي تولى الإفتاء في الديار المصرية بالأزهر الشريف، والشيخ محمد بن مصطفى اللبدي الفقيه العالم الذي تولى الإفتاء في حاضرة الشام بدمشق. وإلى فلسطين أرض المحشر والمنشر ينتسب إليها المئات بل الآلاف من الأدباء والشعراء والعظماء والقواد أمثال الصفدي والطبري والشافعي إمام أهل السنة والذي ولد في غزة وكان يردد بيتين شهيرين في الشوق والحنين إلى بلاده

وإني لمشتاق إلى أرض غزة
سقى الله أرضنا لو ظفرت بتربتها
وأن خانني بعد التمزق كتماني
لكحلت به من شدة الشوق أجفاني

لهذا حظيت فلسطين بمكانة رفيعة فريدة بين أقطار العالم بأهميتها الدينية التي جعلت منها بلداً مقدساً تشد إليه الرحال ولهذا كان لها منزلة مميزة في القرآن الكريم والسنة النبوية، حباها المسلمون بالتقديس والتكريم خاصة قدسها ومسجدها الأقصى.

فلسطين أرض الأسراء والمعراج، وأرض الميعاد وأرض الديانات السماوية الثلاث، وهي مدينة المقدسات لجميع الأديان. ولا شك أن احتلال اليهود لفلسطين كلها ومدينة القدس. خاصة وتهويدهم لها أمر بالغ الخطورة لأنه يهدد العالم الإسلامي بأسره، وهي ظاهرة خطيرة لم يسبق لها مثيل في جميع عصور التاريخ، وهنا يجب اعتبار المأساة الفلسطينية مثلاً حياً للواقع الإسلامي الذي يشهد اليوم جميع أنواع التحدي والتهديد، إذ لولا هذا الواقع المؤلم على العالم الإسلامي لما ضاعت فلسطين، ولما تجرأ العدو على اغتصابها ولذلك فإن هيبة العرب والمسلمين مرهونة بعودة فلسطين حرة عربية لإسلامية أبيّة، وليعيدوا حريتها وكرمتها وشرفها.

ودفن في المدينة المقدسة عدد كبير من الصحابة والتابعين والمجاهدين منهم الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري، والصحابي شداد بن أوس، والزاهدة رابعة العدوية، والمتكلم محمد بن كرام صاحب الفرقة الكرامية، والمحدث بكر بن سهل الدمياطي.

وبنى المسلمون في مختلف العهود مساجد بلغ عددها أربع وثلاثون مسجداً معظمهم في داخل المدينة القديمة.

وأُنشأوا عدداً من المقابر الأثرية التي تضم رفاة الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء ومجاهدين وحكام وفي (الأنس الجليل) أسماء من توفى ودفن فيها. نذكر منهم عبادة بن الصامت، وشداد بن أسوس وفيروز الديلمي، وسلامة بن قيسر، وذا الإصبع، وأبا محمد البخاري. وأنشأوا مدارس لطلب العلم، بلغ عددها 56 مدرسة حفلت بالعلماء من أهل المدينة وخارجها الوافدين من المشرق والمغرب، وأوقفوا عليها لمصاحف والمخطوطات النادرة ولا تزال معظم هذه المدارس قائمة حول الحرم بأبوابها الحديدية الكبيرة ونقوشها المزخرفة وساحاتها الواسعة، وكان المسجد الأقصى نفسه يحتوي على مكتبة كبيرة كما كان الحال في جامع قرطبة والأزهر والقيروان. وكان العلماء يقصدونه من الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدرس والتدريس وفي المتحف الإسلامي - اليوم - صندوق كبير يضم مصحفاً مخطوطاً بخط أحد ملوك المغرب كتبه خصيصاً للمسجد الأقصى. وبنوا عدد كبيراً من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية كالزوايا النقشبندية للحجاج الوافدين من الباكستان، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية للحجاج الواردين من الأفغان، وفي كل مسجد وغرف للنوم، ولها أوقاف.

إن الكثرة العظمى من هذه الأماكن الإسلامية التي ذكرناها - عدا المقابر - قائمة في المدينة القديمة المحاطة بسورها الأثري الذي جدده آخر مرة السلطان سليمان القانوني في القرن العاشر الهجري. وأن المدينة المقدسة أضحت مع الزمن متحفاً أثرياً غنياً بالآبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التي لا تقدر بثمن ولا يمكن أن يكون لها بديل.

والخلاصة أن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التي لم يفتأ المسلمون في جميع عصورهم يرفعونها بالإجلال والتعظيم، ويتعهدونها بالتعمير والتجديد، مدينة أعظم شأنًا في نظرهم من (أورشليم) التاريخية في نظر اليهود بل يمكن أن تقف في صف واحد مع مكة والمدينة، وفي حديث رسول الله عليه السلام أنها رابع مدن الجنة ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود شيء يذكر بشهادة العلماء مسلمين ومسيحيين، ولذا فإن التفريط بهذه المدينة المقدسة هو تفريط بأقدس مقدسات المسلمين، وحرمان من ممارسة شعائرهم الدينية التي كفلتها جميع الشرائع والقوانين.

إن علاقة المسلمين بالقدس لا تبدأ مع الفتح الذي تم على يد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما أسست العلاقة في القرآن والعقيدة والسنة فكانت القدس بالمسجد الأقصى أولى القبلتين بالنسبة إلى المسلمين منذ أوائل عهد الدعوة وكانت في صخرتها المشرفة النقطة التي أسري منها الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل في كل ذلك آيات كريمة مما كرسها في صلب العقيدة وتعزز ذلك في وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لشدة الرحال إليها، فبهذا دخلت مدينة القدس وما حولها من أرض فلسطين كجزء من الإسلام قبل أن تدخل كجزء من تاريخ العرب والمسلمين وحضارتهم وتراثهم، وقبل أن تكون النقطة الإستراتيجية التي لا تقوم الوحدة بين مغرب بلاد العرب والمسلمين ومشرقها إلا بها ومن خلالها.

فالقدس بالنسبة إلى العقيدة الإسلامية أرضاً مباركة مقدسة للمسلمين، وهي جزء في التكوين الروحي الإيماني للمسلم ومن ثم لا يمكن تصور قبول المسلمين التفريط بحقهم فيها تحت أي ظرف من الظروف، بل يمكن القول أن ما من قوة إسلامية تملك حق التصرف بهذا الحق، ونقل من ناقل القول: التأكيد أن كل تفريط في هذا الحق باطل بنظر الإسلام ولو جاء بإجماع، لأن النص يظل فوق الإجماع.

لم يلبث التاريخ الإسلامي أن ارتبط بالقدس أكثر منها ارتبط بأية مدينة أخرى ذلك أنها كانت محط الأطماع لما تتمتع به من مركز روحي وتوحيدي وموقع استراتيجي عسكري سياسي وكان يكفي الاستيلاء عليها وانتزاعها من يد العرب والمسلمين حتى تتجزأ البلاد وتهن الأمة وتطعن في كرامتها وهذا ما يفسر ارتباط التاريخ الإسلامي بمدينة القدس روحيا وسياسيا وعسكريا وقد ارتقت أنهار من دماء المسلمين على أرض فلسطين عبر العصور والأزمان وفي سبيل استعادتها من الفرنجة والصليبيين ثم المغول، وما معركة عين جالوت إلا إحدى الشواهد على ما بذل المسلمون من دماء على أرض فلسطين المباركة، ولكن عاد الأمر فتجدد مع غزو نابليون إلى مصر ثم فلسطين، منذ ذلك التاريخ عادت القدس وفلسطين لتكون جوهر صراع العرب والمسلمين منذ الغزو الصهيوني وبخاصة بعد أن سيطروا على شطري من القدس وأجزاء من فلسطين في الضفة والقطاع.

أنا حين نتكلم عن مكانة القدس بالنسبة إلى المسلمين تبدأ مكانتها في العقيدة والتكوين الروحي والنفس وهي هنا واسعة قوية لا يمكن انتزاعها أو أبعادها ثم نخرج على مكانتها في تاريخ الأمة لنجدها في مكب الأحداث والصراعات والحروب، بذلت في سبيلها أغلى التضحيات جيلا بعد جيل، ثم إذا وقفنا أمامها لنراها من الزاوية الوجودية للأمة العربية ومن الزوايا السياسية والإستراتيجية سوف نراها في ظل الاحتلال الإسرائيلي تشكل المركز في وجود الأمة وأمانها ومصالحها وتطلعاتها، وهذا ما يفسر الدعوة للتضامن الإسلامي من أجل إنقاذ القدس وتساعد دعوة الجهاد من أجل تحريرها.

ومن هذا كله يمكن لشعوب العالم غير الإسلامية أن تتفهم ما تعني القدس بالنسبة إلى شعوب الإسلامية عموما والعرب خصوصا، لأن هذا التفهم قد يساعدنا على تجنب دفع الأمور إلى ما لا يحمد عقباه حين تطرح أو تفرض الحلول التي تمس عقيدة المسلمين وتهدر الحقوق الشعب الفلسطيني تلك الحقوق التي يتمسك مليار مسلم باسترجاعها.

ويمكن بهذا الصدد القول أن تأكيد حق الشعب الفلسطيني في القدس، وفي فلسطين يجسد عند الإقرار به وتنفيذه تطلعات العالم المسيحي بأسره ناهيك عن المسيحيين الفلسطينيين والعرب، ذلك أن الطابع المسيحي للأماكن المقدسة المسيحية في القدس وبيت لحم والمناطق الأخرى لا يمكن أن يحافظ عليه إلا من خلال وجود المسيحيين الفلسطينيين الذين هم جزء من الشعب الفلسطيني وإلا أصبحت تلك الأماكن المقدسة من غير المؤمنين المحيطين بها أماكن أثرية تستهوي السياح ودارسي الآثار. (وقد تنبه الفاتيكان إلى هذه النقطة مما دفعه إلى بذل جهود كبيرة للمحافظة على بقاء المسيحيين العرب في فلسطين وفي القدس وبيت لحم خصوصا) ومقاومة عمليات تهجيرهم من قبل السلطات اليهودية وهذا ما يجعل الشعب الفلسطيني هو الضامن الحقيقي لبقاء مدينة القدس بمقدساتها مدينة حيا وسلاما وتطهر روح كل المؤمنين على حد السواء خصوصا، إذا أخذ بعين الاعتبار أن شعب فلسطين ذو تقليد عريق في المحافظة على الأماكن المقدسة للديان الثلاثة، وسكنى المؤمنين من حملها وضمان حريتهم، لقد عمد الاحتلال الإسرائيلي إلى تشويه معالم مدينة القدس، والاعتداء على أماكنها المقدسة وتدنيسها وفرض الهجرة القسرية على سكانها الأصليين. فباشروا عمليات الهدم التدريجي للمدينة القديمة ومعالمها التاريخية، وأقام الأبنية الإسمنتية الكثيفة جالبا إليها آلاف المستوطنين اليهود الغربيين لاستيطانها، وهكذا نراه يسير في تهويد القدس وتحويلها عن دورها التاريخي كمركز روحي.

مراجع البحث:

1. القرآن الكريم
2. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج1 دار الثقافة - بيروت 1958م.
3. قضية القدس، خيرية قاسمية، دار القدس - بيروت 1979 م
4. القدس العربية، محمد أديب العامري، دار الطباعة والنشر - عمان 1971م.
5. تاريخ فلسطين عبر العصور، أحمد صدقي الدجاني، نظرة تحليلية مجلة شؤون فلسطينية مجلد عام 1977م
6. عروبة بيت المقدس حول تاريخ القدس القديم، الحسيني.
7. الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، للقاضي مجير الدين الحنبلي - دار الخليل.
8. الإسلام وفلسين - رفيق النتشه.
9. بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، ج9، بيروت 1976م
10. جغرافيا فلسطين، خليل طوطح وحبيب خوري، القدس مطبعة النصر 1923م
11. عارف العارف، الفصل في تاريخ القدس، القدس 1961م
12. القرآن والسنة وحتمية إزالة دولة يهود - الشيخ أسعد بيوض التميمي خطيب ومدير المسجد الأقصى المبارك سابقا، مطابع الكرميل بيروت 1982م.
13. انحاف الخص بفضائل المسجد الأقصى، لأبي عبد الله بن شهاب الدين السيوطي، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد.
14. فضائل القدس للشيخ الإمام ابن الجوزي حققه وقدم له د. جبرائيل سليمان حبور.
15. صحيح مسلم - شرح النووي المجلد رقم 1.
16. كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، المجلد 6 - الناشر دار الكتاب العربي.
17. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صالح أبو نصير - دار الفكر.
18. المركز القانوني لمدينة القدس، سالم الكسواني، عمان 1978م.
19. صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل، السيد رجب حراز، القاهرة 1974م.
20. بلدانية فلسطين العربية، الدرفيكي، بيروت 1948م.
21. تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، بيروت 1958م.
22. معجم البلدان ياقوت الحموي - شهاب الدين أبو عبد الله، بيروت دار صادر للطباعة والنشر 1955م.
23. نهاية الأدب في معرفة فنون الأدب، للنويري، دار الكتب المصرية بالقاهرة.
24. تاريخ الرسل والملوك، محمد جرير الطبري، القاهرة 1961م.
25. صبح الأعشى في معرفة الأنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1962م.
26. القدس تاريخ وصور، إعداد منظمة التحرير (فتح).
27. الآثار الإسلامية في فلسطين أو الأردن، محمود العابدي، من موضوع المسجد الأقصى.
28. قدسنا، محمود العابدي، القاهرة 1972م.
29. حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر.
30. الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج 10، دار صادر، بيروت 1966 م.
31. كتاب الفتح القسي في الفتح القدس، الشهير بعماد الدين الكاتب المعروف بالاصفهاني، طبعة القاهرة مطبعة الموسوعات 1321 هـ 1902م.
32. المختصر في أخبار البشر، أبو الفدا المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الأفضل.